جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ

المؤتمر الدولي الأول تحت عنوان : "البعد الإنساني في التراث العربي والإسلامي"
٢٩ من ذي الحجة ١٤٤٢ هـ = الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢١م

# البُعد الإنساني في السيرة النبوية سِلمًا وحربًا

إعداد :
كاميليا محمد إبراهيم مسلم
المدرس بقسم الحديث وعلومه
كلية الدراسات الاسلامية والعربية بنات الزقازيق

# البُعد الإنساني في السيرة النبوية سِلمًا وحربًا

**كاميليا محمد إبراهيم مسلم**

**قسم الحديث وعلومه –كلية الدراسات الاسلامية والعربية بنات الزقازيق**

**البريد الإلكتروني :** kamiliamohamed.2467@azhar.edu.eg

**الملخص :**

تناول هذا البحث ما تميز به الرسول الكريم ﷺ من خلق عظيم، تمثل في إنسانيته وعدله ورحمته ورأفته وتسامحه، وشفقته.

وأبرزتْ هذه الدراسة الأخلاق الإنسانية السامية للنبي ﷺ في علاقاته الاجتماعية المتمثلة في:

إنسانيته ﷺ في التشريع لأمته.

إنسانيته ﷺ مع زوجاته.

إنسانيته ﷺ في تعامله مع أطفاله وأطفال المسلمين.

إنسانيته ﷺ مع الضعفاء.

إنسانيته ﷺ مع العصاة والمذنبين.

ثم بيان إنسانيته ﷺ مع البيئة، موضّحًه نماذج من إنسانيّته في التعامل مع: (الحيوان، والجمادات، والنباتات، والماء).

ثم أوضحتُ البعد الإنساني في السيرة النبوية في "الحرب"، وفيه بيان إنسانيته ﷺ قبل بدء القتال، ثم إنسانيته ﷺ في ميادين المعارك وساحات الوغي، ثم بيان إنسانيته ﷺ بعد الانتهاء من القتال والحرب.

**الكلمات المفتاحية :** البعد – الإنساني – السيرة– سلمًا – حربًا .

# HUMAN DIMENSION IN THE PROPHETIC BIOGRAPHY, IN PEACE AND WAR

CAMELIA MUHAMMAD IBRAHIM MUSLIM
Department of Hadith and its Sciences - Faculty of Islamic and Arabic Studies, Zagazig Girls
E-MAIL : kamiliamohamed.2467@azhar.edu.eg

**Abstract :**
This research looks into the great character of the Holy Prophet (May the blessings of Allah be upon him), and represented in his humanity, justice, mercy, tolerance, and compassion.
This research focuses on the noble human morals of the Prophet (Peace Be upon Him), in his social relations represented in:

- His humanity, (PBH), in the legislation of his nation.
- His humanity, (PBH), with his wives and daughters.
- His humanity, (PBH), in his feelings.
- His humanity, (PBH), in dealing with his children and the children of Muslims.
- His humanity, (PBH), in dealing with the weak.
- His humanity, (PBH), with the disobedient and the sinners.
- His humanity, (PBH), in death.

Then, the research, explains his humanity (PBH), with the environment, clarifying examples of his humanity in dealing with: (animals, inanimate objects, plants, earth and water).
Then the research clarifies the human dimension in the Prophetic Biography in "War", in which the goals and purposes of war are explained in the Prophet's biography.
Finally, the research clarifies his humanity (PBH), before starting fights, then in the battlefields. It also explains his humanity (PBH), after the end of fights and wars.

**Keywords:** Dimension - Human - Biography - Peace - War.

## المقدمة

الحمد لله ولي النعمة والإفضال، العزيز الجبار الكبير المتعال، والصلاة والسلام على من حاز خصالَ الشرف جميعًا على جهة الكمال، وعلى آله وصحبه إلى يوم المآل.

**وبعد:**

فإن الإسلام دين يدعو إلى كل خير، ويَنهى عن كلِّ شر؛ يدعو إلى الإحسان إلى الناس كافَّة، والتعامل معهم بالحسنى؛ لذا أمر الله – عز وجل – عبادَه – أن يقولوا التي هي أحسن ؛ يقول – عز وجل –: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فلننظر في هذه الآية الكريمة نجد أن الله تعالى قدَّم القولَ الحَسَن للناس على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وعندما ذكر الله تعالى عبادَه الصالحين وما اتَّصفوا به من صفات حسنة وأخلاق طيّبة، ذكَر في مُقدّمتها وطليعتها: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، يقول ابن كثير – رحمه الله –: إذا سَفِه عليهم الجُهَّال بالسيئ، لم يُقابِلوهم عليه بمِثله، بل يَعفُون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا[١]. فالسيرة النبوية تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتها الإنسانية، وأكمل هدي وخلق في حياة البشرية.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن حزم: من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق –كلها– واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه، وسيرته ما أمكنه.[٢]

(١) تفسير ابن كثير (١٢٢/٦). أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) الأخلاق والسيرفي مداواة النفوس، لمحمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت.(ص١٩).

لقد جاءتْ سيرةُ الرسول – ﷺ – لِتمثِّلَ – برقيِّها وسموِّها – التطبيقَ "البشري" الكامل للقِيم "المُطْلَقة" السامية في مختلف جوانب الحياة؛ سواء في سلوك الإنسان مع ربِّه – سبحانه – أو مع زَوجِه وأهل بيته، أو مع الناس جميعًا.

حتَّى إنَّ الكاتب الأمريكي (مايكل هارت) جعل النبيَّ – ﷺ –: "أعظم عُظماء التاريخ"(١)، وقال عنه أديب البريطاني (برنارد شو) – في إعجابٍ بالغ –: "إنَّ العالَم أحوجُ ما يكون إلى رَجلٍ في تفكير محمَّد، هذا النبي الذي وضع دِينه دائمًا موضعَ الاحترام والإجلال؛ وسيجد هذا الدِّينُ مجالَه الفسيح في هذه القارَّة"(٢)؛ يعني: أوروبا. ولسْنا بحاجةٍ إلى الاستشهاد بأقوال المفكِّرين الغربيِّين للاستدلال على مكانة النبي – ﷺ – فمكانته السامية ثابتة من قبل، عندنا – نحن المسلمين – ولكنَّا أردنا أن نبيِّن أنَّ الحقيقة الناصعة تأسِر العقولَ الراجحة عندما تتجرَّد عن هوائها، وترتفع عن الأغراض الدنيئة، وأنَّ الإنسانيَّة الكاملة تستهوي القلوب والأفئدة، وتستنطق ممَّن يلمسها ويشاهدها آياتِ الإعجاب والتقدير.

وإن مما دعاني أن أشرَع في الكتابة في هذا الموضوع؛ ما رأيته من تَعرّض أعداء الإسلام لشخص النبي ﷺ بالتّشويه والسخرية، والإساءة إليه، جهلاً من بعضهم، و حقدًا من آخرين، فجاءت هذه الدراسة المتواضعة؛ لتبين بعض مواقف النبي ﷺ الإنسانية في تعامله مع غيره في السّلم وفي الحرب، والتي لها أكبر الأثر في التأثير على النفوس والقلوب.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربي، وكل سياسي، وكل رئيس دولة، وهكذا..

**هذا وسيكون منهجي في الحكم على الأحاديث على النحو الآتي:**

- عدم التكلم على مرويات الشيخين فيما يتعلق بالحكم عليها اكتفاء بمنزلتهما وتلقي الأمة لهما بالقبول.
- الحكم على الأحاديث بعد دراستها، ووضع الخلاصة في هامش التوثيق.

(١) الخالدون مئة لمايكل هارت ص(١٣).
(٢) محمد الرسالة والرسول ص(١٨٨).

**هذا، وقد قسمت هذا البحث بعد هذه المقدّمة إلى فصلين، وخاتمة على النحو الآتي:**

**الفصل الأول:** البعد الإنساني في السيرة النبوية في "السلم"، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** البعد الإنساني في شخصية الرسول صلى الله عليه في علاقاته الاجتماعية:

**المطلب الأول:** إنسانيته ﷺ في التشريع لأمته.

**المطلب الثاني:** إنسانيته ﷺ مع زوجاته.

**المطلب الثالث:** إنسانيته ﷺ في تعامله مع أطفاله وأطفال المسلمين.

**المطلب الرابع:** إنسانيته ﷺ مع الضعفاء.

**المطلب الخامس:** إنسانيته ﷺ مع العصاة والمذنبين.

**المبحث الثاني:** البعد الإنساني في شخصية الرسول ﷺ في تعامله مع البيئة:

**المطلب الأول:** إنسانيته ﷺ مع الحيوان.

**المطلب الثاني:** إنسانيته ﷺ مع الجمادات.

**المطلب الثالث:** إنسانيته ﷺ مع النباتات.

**المطلب الرابع:** إنسانيته ﷺ مع الماء.

**الفصل الثاني:** البعد الإنساني في السيرة النبوية في "الحرب"، وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** خصائص الحروب النبوية.

**المطلب الأول:** الربانية، الرحمة والسماحة، العفو والصفح.

**المطلب الثاني:** العدل والإنصاف.

**المطلب الثالث:** عدم دموية الحروب النبوية.

**المبحث الثاني:** البعد الإنساني في الحرب في السيرة النبوية.

**المطلب الأول:** أخلاقه قبل بدء القتال.

**المطلب الثاني:** أخلاقه في ساحات الوغى وميادين المعارك.

**المطلب الثالث:** أخلاقه بعد الانتهاء من القتال والحرب.

**الخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج الدراسة.

✓**فهرس المصادر والمراجع.**

✓**فهرس الموضوعات.**

## الفصل الأول

## البعد الإنساني في السيرة النبوية في "السلم"

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: البعد الإنساني في شخصية الرسول صلى الله عليه في علاقاته الاجتماعية:**

- **المطلب الأول:** إنسانيته ﷺ في التشريع لأمته.
- **المطلب الثاني:** إنسانيته ﷺ مع زوجاته.
- **المطلب الثالث:** إنسانيته ﷺ في تعامله مع أطفاله وأطفال المسلمين.
- **المطلب الرابع:** إنسانيته ﷺ مع الضعفاء.
- **المطلب الخامس:** إنسانيته ﷺ مع العصاة والمذنبين.

**المبحث الثاني: البعد الإنساني في شخصية الرسول ﷺ في تعامله مع البيئة:**

- **المطلب الأول:** إنسانيته ﷺ مع الحيوان.
- **المطلب الثاني:** إنسانيته ﷺ مع الجمادات.
- **المطلب الثالث:** إنسانيته ﷺ مع النباتات.
- **المطلب الرابع:** إنسانيته ﷺ مع الماء.

## المبحث الأول

## البعد الإنساني في شخصية الرسول صلى الله عليه في علاقاته الاجتماعية

نقفُ مع الجوانب الإنسانية في حياة خير البرية ﷺ؛ لنشاهد إنسانيةَ خير إنسان علَّم الإنسانية القِيَم والأخلاق النابعة عن إنسانٍ وعَى الحياة وبصَّره بها ربُّه سبحانه وتعالى، فكان ﷺ هو الإنسانَ الكامل في إنسانيَّته: ولِمَ لا وهو رسول الإنسانية صلي الله عليه وسلم.

**المطلب الأول: إنسانيته ﷺ في التشريع لأمته:**

إن المتأمل في التشريعات التي جاءت على لسان خيرِ الكائنات ﷺ، يلمُسُ فيها الجانب الإنساني الذي يقدر إنسانية المسلم، ويعرف قدرته وطاقته؛ لذا جاءت التشريعات تحمل المعنى الإنساني في اليسر والسهولة، والرفق والرحمة:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].قال ابن كثير: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾؛ أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم؛ ولهذا أباح الإماءَ بشروط؛ كما قال مجاهد وغيره، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ فناسبه التخفيف؛ لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته[١]. قال الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ أن ييسر عليكم[٢]. فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفروا))[٣].

وتتجلَّى إنسانيته في اختياره الأيسر والأسهل ما لم يكن إثمًا؛ فعن عائشة قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه في أمر يُنتهك منه، إلا أن

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٨٠.

(٢) تفسير الطبري (٢٩/٥)محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، لمحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: العلم ، باب:مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا.(٢٥/١)(٦٩).وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،(١٣٥٨/٣)(١٧٣٢).كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ ،به بلفظه.

تُنتهك لله عز وجل حرمة، فينتقم لله عز وجل".[١]

فها هو ﷺ يُرسي لأمَّته مبدأ اليسر والسهولة الذي يتماشى مع إنسانية المسلم، فعندما رأى حبلًا ممدودًا أمر بحلِّه، وأمر أمَّته ألا تتكلف من العمل إلا ما تُطيق؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتينِ، فقال: ((ما هذا الحبل؟))، قالوا: هذا حبلٌ لزينبَ، فإذا فَتَرَتْ تعلَّقت، فقال النبي ﷺ: ((لا، حُلُّوه ليُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعُدْ))[٢]. كل هذا يدل علي إنسانيته في التشريع لأمته وكيف كان حلمه بهم وعطفه عليهم صلي الله عليه وسلم.

**المطلب الثاني: إنسانيته ﷺ مع زوجاته:**

أما الجانب الإنساني في حياته الزوجية ، فهو جانبٌ مشرق، يوحي بكمال إنسانيته ﷺ ؛ فهو الزوج المثالي، فقد كان النبي ﷺ يُظهِر حبه لزوجاته، فقد كان ﷺ يخرج مع إحداهن ليلًا للتنزُّه والحديث، وهذا أمر يجلب المحبة والمودة بين الزوجين. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعةُ على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعًا، وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدَّث معها[٣]....

• وتتجلى معاني الإنسانية في مساعدته ﷺ لزوجاته في شؤون المنزل:

فعن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ قالت:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب: المناقب ، باب: صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٨٩/٤)(٣٥٦٠). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الرُّؤْيَا، باب: اختياره صلى الله عليه وسلم للأيسر وتركه الانتقام لنفسه (٨٠/٧)(٦١١٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، (٥٣/٢)(١١٥٠).كتاب : التهجد، باب: بَابُ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الإسراء: ٧٩].

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب : النكاح ،بَاب: القُرْعَةِ بَيْنَ النِّسَاءِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا (٣٣/٧)(٥٢١١) ،وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، ،بَابٌ فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا،(١٣٨/٧)(٦٣٧٩).

كان في مهنةِ أهله، فإذا حضرتِ الصلاة خرج إلى الصلاة[١].

وكان ﷺ يعرف مشاعر زوجاته نحوَه:

فعن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: ((إني لأعلمُ إذا كُنتِ عني راضية، وإذا كنتِ عَليَّ غَضْبَى))، قالت: فقلتُ: ومن أيْنَ تَعْرِفُ ذلك؟! فقال: ((أمَّا إذا كنتِ راضية، فَإنَّكِ تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ غَضْبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم))، قالت: قُلتُ: أجَل والله يا رسولَ الله ما أهجرُ إلا اسمكَ.[٢] لقد وضع صلي الله عليه وسلم قواعد للبشرية في الإنسانية في التعامل مع النساء لو اتبعها الرجال ما خرب بيت ولا بكت امرأة فكان صلي الله عليه وسلم الزوج المثالي الذي يقتدي به.

**المطلب الثالث: إنسانيته ﷺ في تعامله مع أطفاله وأطفال المسلمين:**

لقد ظهرت أَسْمَى معالم الإنسانية في معاملته ﷺ للأطفال، فقد كان ﷺ يخفض لهم جناحَه، ويفهمُ طبيعتهم ، فيداعبهم، ويلاطفهم، ويُقبّلهم، ويحتضنهم، ويصبر عليهم، ويكره أن يقطع عليهم مرحَهم وسعادتهم، حتى ولو كان بين يدي الله تعالى.

فعن عبدالله بن شداد، عن أبيه قال: دُعي رسول الله ﷺ لصلاةٍ، فخرج وهو حاملٌ حسنًا أوحسينًا، فوضعه إلى جنبه، فسجد بين ظهرانَي صلاته سجدةً أطال فيها، قال: إني قد رفعت رأسي من بين الناس، فإذا الغلامُ على ظهرِ رسول الله ﷺ، فأعدتُ رأسي فسجدتُ، فلما سلَّم رسول الله ﷺ، قال له القوم: يا رسول الله، سجدتَ في صلاتك هذه سجدةً ما كنت تسجدُها، أفكان يُوحَى إليك؟ قال: ((لا، ولكنَّ ابنِي ارتَحَلني، فكرِهتُ أن أُعجِّلَه حتى يقضي حاجته))[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب: الأَدَبِ ،باب:كَيْفَ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ،(١٤/٨)(٦٠٣٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: النكاح ، باب: غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ.(٣٦/٧)(٥٢٢٨). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب :فضائل الصحابة ،باب: فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا.(١٣٤/٧)(٦٣٦٦).

(٣) أخرجه الإمام النسائي في سننه ، كتاب: التَّطْبِيقِ، باب:هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ(٢٢٩/٢)(١١٤١).إسناده متصل ورجاله ثقات.

وكان يُقبِّل الأطفال ويمسح على رؤوسهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التَّميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: ((مَن لا يَرْحم لا يُرْحم[١]).

**ومن نماذج إنسانيته ﷺ مع الأطفال:**

**مواساة الصغير على موت عصفوره:**

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن «النبي عليه الصلاة والسلام كان يزورنا كثيرا ويتفقد أحوالنا، وكان لي أخ فطيمًا» أي لم يتجاوز العامين أو الثلاث. وقال عندما وجده النبي ﷺ هادئ لا يتحرك، فقال لأمه: «مالي أرى ابنك خائر النفس» أي لا يتحرك، فقالوا: «يا رسول الله كان له نغر يلعب به، فمات»، فداعبه عليه الصلاة والسلام: « يا أبا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»[٢]، فكناه بقوله «أبا عمير» تكريمًا له رغم ان الكنية للكبير شرف، ويسأله عن حاله احترامًا لمشاعره.

**المطلب الرابع: إنسانيته ﷺ بالضعفاء.**

لقد أقر الإسلام حقوقا للضعفاء والفقراء والمساكين ، واهتمَّ النبيُّ ﷺ بالضعفاءِ الذين لا مالَ لهم ولا عشيرةَ، فكان يقبلُ من محسنِهم ويتجاوزُ عن مسيئِهم، ويسعى في حوائِجهم، ويرفعُ عنهم الضرَّ والأذى ولو بكلمةٍ تُغضِبُهم، فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب:رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ(٧/٨)(٥٩٩٧).وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل النبي صلي الله عليه وسلم، باب: رَحْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٧٧/٧)(٦٠٩٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: الأدب، بَاب : الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ،(٣٠/٨)(٦١٢٩). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الاستئذان ، باب: تكنية الصغير، (١٧٦/٦)(٥٦٧٣).

أَغْضَبْتُكُمْ قَالُوا لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي[1] )

ومن اهتمامِ النبيِّ صلي الله عليه وسلم بشأنِ الضعفاءِ ما روي أنَّ امرأةً سوداءَ كانتْ تقُمُّ المسجدَ، ففقدها رسولُ اللهِ ﷺ، فسألَ عنها، فقالوا: ماتتْ. فقالَ ﷺ: (أفلا كنتم آذنتموني)، فكأنهم صغَّروا أمرَها. فقال النبيُّ ﷺ: (دلوني على قبرِها» فدلّوه فصلَّى عليها)[2]

إنَّ المجتمعَ الذي يشعرُ فيه الفقيرُ والمسكينُ والضعيفُ بأهميتِهِ واهتمامِ المسؤولينَ والقادةِ والقوانينِ به لهو مجتمعٌ التكافلِ والرحمةِ والإنسانيةِ الذي ينعمْ به الجميعُ ويسعدوا بظلالِهِ.

وتصل إنسانية النبي ﷺ بهؤلاء المساكين الذين تسوقهم ضرورات العيش إلى الدَين، ثم تعجزهم ضحالة الدخل عن السداد، فيعانون من أجل الديون فالدَين همّ بالليل وذُلّ بالنهار، النبي ﷺ لا يملك أن يقول للدائن: تنازل عن حقك، فالنبي ﷺ خير من يصون الحقوق، لكنه يهب الدائن شفاعته، وقلبه، وحبه إذا هو أرجأ مدينه، وصبر عليه حتى تحين ساعة فرج قريب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: (من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله)[3].

**المطلب الخامس: إنسانيته ﷺ بالعصاة والمذنبين:**

وأحوج الناس إلى الرحمة هم العصاة والمذنبون، ولكنهم يحتاجون إلى رحمة التوجيه والهداية لطاعة الله، فإن الإسلام رحمة، والهداية والالتزام رحمة، وهناك أممٌ تنتظر منك أن تدلهم عليها، وأن تهديهم بإذن الله إليها، وأن تأخذ بمجامع قلوبهم إلى الله، فتحببهم في طاعة الله ومرضاته، فالنبي صلي الله عليه وسلم كان رحمة مهداة).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب: فضائل الصحابة ، باب: مِنْ فَضَائِلِ سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ ، وَبِلاَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ،(١٧٣/٧)(٦٤٩٦).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي (١٩٤/٤)(٢٥٦٨). وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبري ، كتاب: ، باب: الصَّلَاةِ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَمَا يُدْفَنُ الْمَيِّتُ(٧٧/٤)(٧٠١٢). قلت:إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ ، مَا جَاءَ فِي إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالرِّفْقِ بِهِ. (٥٩٠/٢)(١٣٠٦).وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الصدقات ،باب: إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ،(٨٠٨/٢)(٢٤١٨).

فعن بريدة رضي الله عنه قال: جاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني وإنه ردَّها فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لمِ تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا فوالله إني لحبلى، قال: إما لا فاذهبي حتى تلدي. فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه. فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبيَّ الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبَّه إياها فقال: مهلاً يا خالد، فوالدي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحبُ مَكْسٍ لغُفِرَ له، ثم أمر بها فصلَّى عليها ودُفنت.[1] فلقد تجلت رحمته ورأفته وانسانيته صلي الله عليه وسلم حتي تعم العصاة والمذنبين فكان صلي الله عليه وسلم خير مثال وقدوة للبشرية في ذلك.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الحدود، بَابُ : مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَى ،(١٣٢٣/٣)(١٦٩٥).

## المبحث الثاني

## البعد الإنساني في شخصية الرسول ﷺ في تعامله مع البيئة

لقد تعددت ملامح مزايا الرسول الكريم في جوانب التعاملات المختلفة، حتى تعدّت حدود البشر إلى عالم الحيوان والنبات والجماد، ولمَ لا.. وقد جعل الله تعالى رسالته رحمة لجميع العوالم –قال الحق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهيا بنا لنقف وقفات متواضعة مع حياته –عليه الصلاة والسلام– لنرى جزءًا يسيرًا من جوانب إنسانيته:

**المطلب الأول: إنسانيته ﷺ مع الحيوان:**

كان ﷺ يعتبر الحيوان كيانًا معتبرًا، ذا روح، يُحِسُّ بالجوع، ويشعر بالعطش، ويتألم بالمرض والتعب، ويُدرِكه ما يُدرِك الإنسانَ من أعراض الجسد؛

والنماذج في السيرة النبوية كثيرة جدًا، ونذكر منها على سبيل المثال:

– ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أن الجنة فتحت أبوابها لامرأة بغي من بغايا بني إسرائيل لمجرد أنها سقت كلبا عطشان.

فأخرج الإمام مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها أي استقت له بخفها فغفر لها " فقد غفر الله لهذه البغي ذنوبها بسبب ما فعلته من سقي هذا الكلب.(١)

وأخبر النبي صلي الله عليه وسلم أن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، فيقول رسول الله ﷺ على "عذبت امرأة في هرة لم تطعمها ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض".(٢)

ولقد حرمت الشريعة الإسلامية تعذيب الحيوان وتصبير البهائم أي أن تحبس

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا،(١٧٦١/٤)(٢٢٤٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، (١١٢/٣)(٢٣٦٥)، كتاب: المساقاة ، باب: فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،(٤٣/٧)(٥٩١٣).

لترمى حتى تموت كما حرمت المثلة وهي قطع أطراف الحيوان . فقد روي عن ابن عمر أنه قال: "نهى النبي ﷺ عن أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل[١]. وعن المنهال بسنده إلى عبد الله بن عمر أنه قال: "لعن النبي ﷺ من مثّل بالحيوان".[٢]

لقد رحم رسول الله ﷺ الحيوان الأعجم من أن يُجوَّع أو يُحمَّل فوق طاقته، بل هو يرحم الحيوان حتى في حالة ذبحه، فإن كان لابد أن يُذبَح فلتكن عملية الذبح هذه رحيمة، فيقول: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ[٣].

إنّ دعوة الإسلام للرفق والرحمة بالحيوان هي من باب أولى دعوة لاحترام الإنسان والرحمة به، فإذا كان الإسلام رحيمًا بالكائن الذي لا ينطق ولا يعقل ولا يمتلك أحاسيس الإنسان ومشاعره ولا كرامته وموقعه، فما بالك بأكرم الخلق وأفضل الكائنات. وكل ذلك يؤكد عظمة هذا الدين وأنه دين يعني بكل الجوانب الإنسانية لأن في ذلك سعادة الإنسان وأمنه.

**المطلب الثاني: إنسانيته ﷺ مع النبات:**

لقد حثَّ النبيُّ ﷺ على الزرع والغرس، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[٤]. وزاد في رواية مسلم: "وَمَا سُرِقَ لَهُ مِنْهُ صَدَقَةٌ... فما دام الزرع قائمًا فإنَّ زارعه يحصد أجرًا عن كلِّ من انتفع به، بل حتى عمَّن أنقص منه وسرق؛ بنصِّ الحديث، وفي الحديث أنَّ القائم على الزرع ولو لم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ،باب: مَا يُكْرَهُ مِنَ المُثْلَةِ وَالمَصْبُورَةِ وَالمُجَثَّمَةِ(٧/٩٤)(٥٥١٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ،باب: مَا يُكْرَهُ مِنَ المُثْلَةِ وَالمَصْبُورَةِ وَالمُجَثَّمَةِ(٧/٩٤)(٥٥١٥).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الذبائح، باب: الأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ(٦/٧٢)(٥٠٩٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب: المزراعة، باب: فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ(٣/١٠٣)(٢٣٢٠). أخرجه الإمام مسلم في صحيحه(٥/١٢٠)(٤٤٥١) كتاب: الحدود والديات ،باب: بَابُ حَدِّ الزِّنَى.

يملكه هو المقصود بالأجر، بل أوصى النبيُّ ﷺ في حديثٍ عظيمٍ بغرس الشجر ولو أَزِف يوم القيامة؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ".(١)

قال المناويُّ: هذه "مبالغة في الحثِّ على غرس الأشجار وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرةً إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإنْ لم يبقَ من الدنيا إلا صبابة؛ وذلك بهذا القصد لا يُنافي الزهد والتقلُّل من الدنيا(٢)".

**والخلاصة** أنَّ الإسلام أنشأ علاقةً من الانتفاع والتمتُّع بين الإنسان وبين النبات، ثُمَّ أمره بالحفاظ على النبات من خلال النهي عن قطع الأشجار، ثم حثَّه على الزرع والغرس حتى ولو كانت الساعة تقوم، فمن كانت بيده –حينها– فسيلةً فليغرسها.

**المطلب الثالث: إنسانيته ﷺ مع الجمادات:**

النبي ﷺ له مواقف مع الجمادات وأحداث كثيرة، فالجذع يحن على فراقه، والحصى يُسبِّح في كفه، والشجر تخط الأرض استجابة لطلبه، والماء ينبع من بين أصابعه، والحجر يُسلِّم عليه، فهي معجزات، لصاحب الرسالة، وأدلة واضحة على صدق نبوته. فعن عن جابر –رضي الله عنه–، أَنَّ النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة، فاتُخذ له منبر، فلمَّا فارق الجذع، وغدا إلى المنبر الذي صُنع له، جزع الجذعُ فحنَّ له كما تحن الناقة، وفي لفظ فخار كخُوار الثور، وفي لفظ : فصاحت النخلة صياح الصبي حتى تصدع وانشق، فنزل النبيُّ –ﷺ– فاحتضنه، فجعلت تئن أنينَ الصبي الذي يُسكَّن فسكن، وقال له الرسول ﷺ: (اختر أَنْ أغرسك في المكان الذي كنت فيه، فتكون كما كنت، وإنْ شئت أَنْ أغرسك في الجنة، فتشرب من أنهارها

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر (٤٠/٣).

وعيونها، فيحن نبتك وتثمر فيأكل منك الصالحون، فاختار الآخرة على الدنيا).[١]

لذلك كان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله عز وجل؛ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.[٢]

**المطلب الرابع: إنسانيته ﷺ مع الماء:**

لا شك أن البيئة التي نعيش عليها من نعم الله عز وجل التي سخرها لنا، قال الله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾(يّس: :٣٣ : ٣٥) ..

وقد خلق الله عز وجل الأرض على أحسن حال وجعلها تفي بحاجات البشرية، وأي نقص أو خلل يصيبها فهو بفعل الناس، قال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الروم:٤١) .

وفي سُنَّة وهدي النبي ﷺ آداب ، يراعيها المسلم في تعامله مع البيئة المحيطة به ويعيش فيها، وذلك للمحافظة عليها، فكل أمر يلوث البيئة من حولنا سواء كان يتعلق بالماء أو الهواء أو المنظر العام فهو مخالف لهدي النبي ﷺ.

**وذلك جاء على عدة أوجه هي:**

١- أن الماء ليس ملكاً لأحد بل هو منة وعطية للخالق – عز وجل- للناس جميعاً فيقرر رسول الله ﷺ ذلك صراحة في حديثه الصحيح «إن الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار[٣]» وموجب هذه المشاركة ألا يتعدى إنسان على حق الآخرين في استعمال الماء سواءٌ في كمه أو كيفه.

٢- كما نهى النبي –ﷺ- عن تلويث الماء الراكد أو الاغتسال فيه، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه- قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الماء

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه،،كتاب : البيوع ، باب: النجار (٦١/١٣)(٢٠٩٥).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ، كتاب: التاريخ ، باب: المعجزات (٤٣٧/١٤)(٦٥٠٧).
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب:الوضوء باب: البَوْلِ فِي المَاءِ الراكد (٥٧/١)(٢٣٩).وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب:الطهارة، باب : النهي عن البول في الماء الراكد (٦٢/١)(٥٨٢).

الراكد»[1] ، فهذا النهي والتحذير النبوي بهدف المحافظة على نقاء الماء، كما رتب النبي ﷺ اللعن على من يلوث الموارد المائية، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال الرسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»[2] «والمراد» أن هذه الأفعال تجلب اللعن؛ لأن أصحابها يلعنون على فعلهم القبيح؛ لأنهم أفسدوا على الناس منفعتهم، فكان ظلماً والظالم ملعون» كما أثبتت الأبحاث العلمية أنه «ينتج عن التبول المباشر والتبرز المباشر أو إلقاء مخلفات المجارى في المصادر المائية وصول العديد من الطفيليات والميكروبات التي تضر بصحة الإنسان منها: البلهارسيا، والدودة الكبدية و الإنكلستوما».

٣- كما نهى النبي ﷺ عن الإسراف في استخدام الماء في العديد من الأحاديث الشريفة ومن ذلك قول النبي ﷺ لسعد وهو يتوضأ «ما هذا السرف يا سعد، فقال: أفي الوضوء سرف؟ قال ﷺ: نعم وإن كنت على نهر جاري)[3] فالأسس والمبادئ التي وضعها الإسلام في ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة ومواردها قد سبقت في سموها وكمالها ما توصل إليه علماء الغرب وما يزعمون أنهم أصحاب السبق والريادة ويكفي أن ندرك الأسبقية الزمنية للمفاهيم والقواعد والمبادئ الإسلامية وأرساها قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، رغم ما يتردد دائماً من أن المشكلات البيئية حديثة الظهور بل يمكننا التأكيد، أن تلك القواعد والمبادئ هي من أبجديات الإسلام التي عرضها في شمول وعمق، وقد سبق بيان العديد من الضوابط والتشريعات التي تضمن الحفاظ على البيئة المائية، من التلوث أو الإسراف في استخدامها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب:الطهارة، باب:النهي عن البول في الماء الراكد (١٦٢/١)(٥٨١).

(٢) أخرجه الإم أبو داود في سننه ، كتاب: الطهارة ، باب: باب المواضع التي نُهي عن البول فيها(٢٦/١).صححه الحاكم وابن السكن قال ابن الملقن :وَفِي ذَلِك نظر ؛ فَأَبُو سعيد هَذَا قيل: لم يسمع من معَاذ فَيكون مُنْقَطِعًا. قَالَ الْحَافِظ جمال الدَّين الْمزي: أَبُو سعيد هَذَا أرَاهُ لم يدْرك معَاذ بن جبل.البدر المنير(٣١٠/٢).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه ، أبواب الطهارة: مَا جَاءَ فِي الْقَصْدِ فِي الْوُضُوءِ وَكَرَاهِيَةِ التَّعَدِّي فِيهِ(٣٧٠/١)(٤٢٠).

## الفصل الثاني

## البعد الإنساني في السيرة النبوية في "الحرب"

**وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول:** خصائص الحروب النبوية.

- **المطلب الأول:** الربانية، الرحمة والسماحة، العفو والصفح.
- **المطلب الثاني:** العدل والإنصاف.
- **المطلب الثالث:** عدم دموية الحروب النبوية.

**المبحث الثاني:** البعد الإنساني في الحرب في السيرة النبوية.

- **المطلب الأول:** أخلاقه قبل بدء القتال.
- **المطلب الثاني:** أخلاقه ساحات الوغى وميادين المعارك.
- **المطلب الثالث:** أخلاقه ما بعد الانتهاء من القتال والحرب.

## المبحث الأول

## خصائص الحروب النبوية

تميز رسول الله ﷺ عن الناس أجمعين بصفات ومميزات شتى، فكان عليه السلام متفردا في أخلاقه عظيما في صفاته، جليلا في أعماله، رحميا في حروبه... وقد أحاطت بغزواته ﷺ ومعاركه جملة من الخصائص الربانية والسمات الأخلاقية جعلتها تختلف عن الحروب في القديم والحديث، فكما كان ﷺ رحميا بأعدائه في حالة السلم، وكان رفيقا بهم في حالة الحرب. ويمكن إجمال هذه الخصائص للحروب النبوية، في المطالب التالية:

**المطلب الأول: الربانية / الرحمة والسماحة / العفو والصفح.**

١-الربانية:

من أهم خصائص الحرب في السيرة النبوية: الربانية والمقصود بها: أن مصدر الأمر بها من الله عز وجل، لذا وجب على المسلمين بذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله قال تعالي:﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم ﴾[التوبة: ١١١].

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: "ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب كما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير"(١).

وقد ربى النبي ﷺ صحابته على استحضار هذه الخاصية عند الخروج إلى

(١) - "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق
ص: ٣٩٧.

الجهاد، فقال عليه السلام: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"(١).

ففي الحديث النبوي دلالة واضحة على أهمية الربانية والاحتساب لله عز وجل، حيث أن المجاهد إذا لم يخلص في قتاله، فإنه قد فوت على نفسه الخير الكثير والثواب الجزيل، واختار الفاني على الباقي، واستبدل الأدنى بالذي هو خير، وقد ذكر الماوردي فيما يلزم المجاهد في حق الله: "ان يقصد بقتاله نصرة دين الله وإبطال ما خالفه من الأديان [ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] فيكون بهذا الاعتقاد حائز لثواب الله تعالى ومطيعا له في أوامره ونصرة نبيه ومستنصرا به على عدوه ليستسهل ما لاقى فيكون أكثر ثباتا وأبلغ نكاية ولا يقصد بجهاده استفادة المغنم، فيصير من المكتسبين لا من المجاهدين"(٢).

٢-الرحمة والسماحة:

لقد بعث الله محمدا ﷺ بالحنيفية السمحة رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧] وقد ذكر الإمام ابن القيم الجوزية أن الرحمة المذكورة في الآية عامة من وجهين:

"أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، وأما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم، لأن حياتهم زيادة في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، واما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم من التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية عنه

(١) – أخرجه الإمام البخاري في صحيح ،كتاب: العلم ، باب: مَنْ سَأَلَ، وَهُوَ قَائِمٌ، عَالِمًا جَالِسًا(١/٣٦)(١٢٣).وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب: الجهاد،باب: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا(٦/٤٦)(٤٩٥٥).

(٢) – "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر دار الحديث– القاهرة ص: ٩٦.

فإن الله رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

والوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإن لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواءا لهذا المرض"(١).

وقد شملت إنسانيته ﷺ وسماحته وقت السلم ووقت الحرب، كما شملت الأحباب والأعداء وكانت سمة بارزة في جميع حروبه، حتى شهد الكفار بذلك قبل المسلمين، يقول المستشرق جوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب"(٢). وما ذلك إلا للمبادئ الرحيمة والأخلاق العالية ، فكانت الحروب النبوية رحمة لما شرعه عليه السلام من تشريعات تتعلق بها، فحدد أولا بواعثها فلا يمكن للحرب في الإسلام أن تندلع إلا بموجب أسبابها الوجيهة، ثم رسم بعد ذلك مقاصدها وأهدافها، فالحرب في الإسلام ليست تدميرية ولا تخريبية وإنما ضبطها النبي ﷺ بضوابط محددة ورسم لها مقاصد معينة متى تحقق انتهى القتال وتوقفت الحرب، كما خلق النبي ﷺ حروبه بأخلاقيات رفيعة قبل بدء القتال وأثناءه وبعده، كل ذلك رحمة وسماحة.

٣-العفو والصفح والتسامح:

العفو والصفح عند المقدرة من الصفات الفاضلة والأخلاق الحميدة التي تميز بها الرسول ﷺ في السلم والحرب، وسيرته ﷺ خير شاهد على ذلك، فقد تجلت فيها هذه الأخلاق الرفيعة في غير ما موقف أو تصرف أو معاملة... ومن ذلك:

١-بعد النصر في غزوة بدر ، كان عمير بن وهب الجمحي أحد شياطين قريش يومئذ، وكان ممن يؤذي النبي ﷺ وقد جلس مرة مع صفوان بن أمية، واتفقا على

(١) - "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام"لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط: ٤٤/٢.

(٢) "حضارة العرب" لغوستاف لوبون، ص: ١٤٦.

اغتيال النبي ﷺ فحشد سيفه بالسم وأتى المدينة يريد مقابلة رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: أدخلوه علي، فلما رآه الرسول عليه السلام وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال النبي ﷺ: أرسله يا عمر، فأخبره النبي ﷺ بما حدث بينه وبين صفوان ثم عفا عنه، فكان العفو النبوي سببا في إسلامه(١)

٢-وفي غزوة بني قريظة لما أمر النبي ﷺ برحيل عبد الله بن أبي فقال هذا المنافق: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾[المنافقون: ٠٨]، فلما علم ابنه عبد الله مقالته -وكان مؤمنا صادقا- وقف على أبواب المدينة مستلا سيفه وأقسم قائلا: "والله لا تجوز ها هنا حتى يأذن رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء هذا المنافق إلى النبي ﷺ عفا عنه وأذن له"(٢).

٣-وفي فتح مكة دخل رسول الله ﷺ ظافرا على رأس عشرة آلاف مقاتل من الصحابة واستسلمت قريش وبدأت تنتظر حكمه فيها بعد أن قاتلوه وعذبوا أصحابه وأخرجوهم من ديارهم فما زاد عليه السلام أن قال: "يا معشر قريش ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام: أقول لكم ما قال يوسف لأخوته من قبل: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء"(٣).

وهذا غيض من فيض عفوه وصفحه ﷺ عمن قاتله أو أساء إليه، وإلا فأحداث السيرة ووقائعها حافلة بصور عفوه وتسامحه عليه السلام.

(١) راجع القصة كاملة في: "السيرة النبوية" لابن هشام: ٢٠٣/٢ وما بعدها.
(٢) لباب النقول في أسباب النزول" للسيوطي، ص: ٢٧٨، سورة المنافقون: الآية: ٧ و٨.
(٣) "السيرة النبوية" لابن هشام: ٣٥/٤.

**المطلب الثاني: العدل والإنصاف.**

إن الإسلام دين وشريعة صادرة عن الله سبحانه وتعالى ومبنية على العدل والقسط وتأمر بالعدالة في جميع المعاملات، وفي شتى الميادين. ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠]. فعدالة الإسلام شملت أولياءه وأعداءه كل بحسبه، قال تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين ﴾[الممتحنة: ٠٨].

وبناءا على ذلك، فإن من أعظم خصائص الحروب النبوية: العدل والبعد عن الظلم بجميع أشكاله وأنواعه، فكان عليه السلام يراعي حقوق الآخرين ولو كانوا كفارا أو مشركين، فكانت حروبه مثلا عليا كما توضح النماذج التالية من سيرته العطرة:

١-أن قتاله ﷺ كان موجها إلى صنف واحد من الكفار وهم المحاربون أو المتربصون، أما ماعدا هؤلاء من الكفار، فإنه عاملهم على أساس العدل والإنصاف والإحسان إليهم والبر بهم.

٢-أثناء حربه ﷺ مع هؤلاء الكفار المحاربين كان يراعي الجانب الأخلاقي، فكان عليه السلام ينهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والمرضى والمنعزلين في الصوامع... كما كان يوصي أصحابه بعدم الإفساد في الأرض وتخريب المنازل وتدمير البيئة، فلا يقتل إلا من حمل السلاح، فإذا وضع سلاحه أو جرح أو فر من أرض المعركة، أصبح آمنا على نفسه من سيوف المسلمين.

٣-موقفه ﷺ من يهود المدينة، حيث لم يتعرض لهم بسوء، بل نظم علاقته معهم وفق صحيفة بينت حقوقهم أولا ثم واجباتهم ثانيا، لكن اليهود بمختلف قبائلهم نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، فأجلى عليه السلام بني قينقاع ثم بني النضير وقتل مقاتلة بني قريظة، فكان اليهود سببا مباشرا في شن الحرب عليهم.[١]

(١) يراجع القصة كاملة في السيرة لابن كثير (١٩٩/٣).

**المطلب الثالث: عدم دموية الحروب النبوية.**

تميزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب أو جرائم ضد الإنسانية، "وهذه الحروب التي لم يشهد التاريخ أيمن منها وأقل إراقة للدماء وذهابا بالنفس، ولا أعود منها على الإنسانية بالصالح العام والخير المشترك والسعادة جمعاء"(١).

وإذا تصفحنا وقائع السيرة الحربية للرسول ﷺ نجده أنه كان حريصا ما أمكن على تجنب القتال، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين والعزل والمستكرهين على القتال، ثم بعده كان يعفو ويصفح إذا ملك، فجاءت حروبه ﷺ على مستوى من الرقي الأخلاقي لم تعرفه جل الحضارات القديمة والحديثة، وبذلك كانت حروبه عليه السلام أقل دموية من غيرها.

لذلك إذا قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية سواء من شهداء المسلمين أو من قتلى الأعداء ابتداء من السنة الثانية للهجرة إلى السنة التاسعة للهجرة، وجدنا العدد قليلا جدا لا يتجاوز الألف قتيل إلا بقليل، حوالي: ١٠١٨ قتيل، عدد المسلمين منهم: ٢٥٩ شهيد وأما الكفار فعددهم: ٧٥٩ قتيل(٢).

إن هذه النسب ضئيلة جدا في معارك كثيرة بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة و٣٨ سرية أي أكثر من ٦٣معركة وهي أصدق دليل على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ.

(١) "أخلاق الحروب في السنة النبوية" للدكتور راغب السرجاني ، ص: ١٥٤.
(٢) أخلاق الحروب في السيرة النبوية (٣٣/١).

## المبحث الثاني

## البعد الإنساني في الحرب في السيرة النبوية

إن المتأمل لواقع حروب النبي ﷺ وغزواته، يجد أنها حبلى بالأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية، فإذا كان حسن الخلق ولين الجانب والرحمة بالضعيف، والتسامح مع القريب تفعله كل أمة من الأمم في أوقات السلم، لكن كل ذلك يغيب في أوقات الأزمات والحروب، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتصف به أو يأمر به، ولكن السجل التاريخي للحروب النبوية ناصع البياض في ضمان أخلاق القتال والمعارك، وما سطره النبي ﷺ والمسلمون معه من روائع التسامح والعفو والصفح والرحمة في ميادين الوغى وساحات القتال، سيظل شاهدا على تسامح الإسلام والمسلمين مع غيرهم، لا في أوقات السلم فحسب، ولكن في أشد اللحظات خطرا، لأن رؤية الدم تثير الدم، والعداوة ، فأي سماحة هذه، وأي رحمة اتصف بها الرسول ﷺ والمسلمون في ميادين القتال والنزال. "وأقسم لولا أن التاريخ يتحدث عن هذه المعجزة الفريدة في تاريخ الأخلاق الحربية بصدق، لا مجال للشك فيه، لقلت إنها خرافة من الخرافات، وأسطورة لا ظل لها على الأرض"(١).

ويمكن توضيح البعد الإنساني في الحروب في السيرة النبوية إلى ثلاثة مطالب:

(١) " مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا " لمصطفى بن حسني السباعي ، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي ص: ٧٣.

**المطلب الأول: أخلاقه قبل بدء القتال.**

**أولا:** اليسر في تجنيد الجنود وتسيير الجيوش، فقد كان ﷺ يغلب جانب الطواعية في المشاركة في الجهاد، ويقبل أعذار المخلفين ويأذن لهم ويستغفر لهم حتى عاتبه الله في ذلك: ﴿ عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِين ﴾[التوبة: ٤٣].

وكان من سنة رسول الله ﷺ قبل تسيير الجيوش: تفحص أفراده فردا فردا، فكان عليه السلام يرد من استصغره أو من لا يقوى على حمل السلاح والجهاد به.

**ثانيا:** كان ﷺ يخص بعض جنوده بوصايا التقوى في أنفسهم، وبالرأفة والرحمة بالمجندين، وكان ينهاهم عن الإفساد في الأرض أو التخريب أو ارتكاب جرائم الحروب كالإحراق أو المثلة ... عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..."(١).

**ثالثا:** الاهتمام بخيول الجهاد والرحمة بها والسهر على راحتها وعلوفتها، فكان ﷺ يسهم لها في الغنائم، فعن عبد الله بن عمر: "أن رسول الله ﷺ قسم في النفل: للفرس سهمين وللرجل سهما"(٢).

**رابعا:** البدء بالدعوة إلى الإسلام قبل القتال:

كان من سنة النبي ﷺ قبل خوض القتال مع غير المسلمين، أن يبدأهم أولا بالدعوة إلى الله عز وجل، فإن لم تنفع معهم الدعوة، خيرهم بين ثلاثة بأمور: إما الإسلام، أو دفع الجزية أو القتال.

"فإذا لقي المسلمون المشركين، فإن كانوا قوما لم يبلغهم الإسلام: فليس ينبغي

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير: باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها،: ٤٥٣٨: ٦٦٦/٣.

(٢) أخرجه الإمام مسلم: الجهاد والسير :باب: كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين، ٤٦٠٢: ٦٧٧/٣.

لهم أن يقاتلوهم حتى يدعوهم، وإن كان قد بلغهم الإسلام، ولكن لا يدرون أنا نقبل منهم الجزية، فينبغي ألا نقاتلهم حتى ندعوهم إلى إعطاء الجزية، به أمر رسول الله ﷺ أمراء الجيوش، وهو آخر ما ينتهي به القتال"(١).

وإذا تصفحنا وقائع سيرته عليه السلام، نجد أنه ما قاتل قوما إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام أو إعطاء الجزية، قال ﷺ: "إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن أجوبوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى أن يتحولوا من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم، فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجير على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"(٢) لذلك لما أعطى رسول الله ﷺ الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر قال له: "على رسلك، حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم"(٣)

(١) "السير الكبير مع شرح السرخسي" لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (: ٥٧/١).
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير،باب: تأمير الإمام الأمراء: ٤٥٣٨: ٦٦٦/٣.
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير: باب: دعاء النبي عليه السلام إلى الإسلام والنبوة: ٢٩٤٢: ٥٢٣/٢.

**المطلب الثاني: أخلاقه في ساحات الوغى وميادين المعارك.**

**١-النهي عن قتال النساء والشيوخ والأطفال:**

من مظاهر القيم الأخلاقية في حروبه عليه السلام: وصاياه المتكررة لأمراء جيوشه، والمجندين على حد سواء، بتقوى الله في أنفسهم أولا، وفي من معهم من المسلمين ثانيا، وفي أعداءهم ثالثا، ومن أعظم وصايا النبي ﷺ في القتال: تحريم قتل النساء والصبيان، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسام فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان"(١).

وقال النووي: "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا، قال جماهير العلماء: يقاتلون"(٢).

**٢-عدم قتل العباد المنقطعين في الصوامع والشيوخ:**

كان النبي ﷺ إذا بعث جيوشه أوصاهم: "لا تقتلوا أصحاب الصوامع" وكانت وصيته للجيش المتجه إلى مؤتة: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا أو امرأة، ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة"(٣).

**٣-النهي عن قتال وترويع المدنيين ومن ألقى السلاح من المقاتلين:**

إن من محاسن الإسلام أن جعل الجهاد في دائرة مغلقة، لا تتجاوز أهل العدوان والطغيان ممن يقاتلون المسلمين، ولم تتجاوز ذلك إلى كل من يخالف المسلمين في الدين أو العقيدة، وبذلك يفرق المسلمون بين من قاتلهم وبين من لم يقاتلوهم، وفي هذا مثال للرفق والرحمة بالضعفاء من المدنيين.

وقد نهى الله عز وجل عن قتال من لم يقاتل المسلمين، كائنا من كان، من

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب :الجهاد والسير: باب: قتل النساء في الحرب، ٣٠١٥: ٥٣٤/٢.
(٢) "شرح صحيح مسلم" للنووي: ٤٨/١٢.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب :الجهاد والسير، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث: ٤٥٣٨: ٦٦٦/٣.

النساء والصبيان والرهبان المنقطعين للعبادة والشيوخ والزمنى: أصحاب الأمراض التي تعوقهم عن الجهاد والعسفاء والأجراء والفلاحون... قال ﷺ: "أخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"(١).

كما نهى النبي ﷺ عن قتال من ألقى السلاح في فتح مكة، فإنه عليه السلام عندما دخل مكة أمر أن ينادى في القوم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"(٢). فها هو النبي ﷺ يأمر بالكف عمن حمل السلاح لمواجهة المسلمين ثم ألقاه رغبة في السلام، بل إنه لمجرد توقفه عن قتال المسلمين فقد حرم الشرع قتله، وصار بذلك كالمدنيين الذين لا يحملون سلاحا، ولا يجوز قتلهم بأي حال من الأحوال.

**٤- عدم الإفساد في الأرض:**

كان هذا الخلق جليا في السيرة النبوية، فما كان مجاهدو الإسلام مفسدين في الأرض، سواء كان هذا الإفساد بتدمير المنازل أو تخريب الطرقات أو قتل الدواب أو إتلاف المغروسات، بل كان المجاهدون يحرصون أشد الحرص على الحفاظ على العمران والبيئة في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم.

فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن الإفساد في الغزو ونفى الأجر عن صاحبه، فعن معاذ بن انس رضي الله عنه أنه قال: "الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله وأطاع الإمام وانفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لم يرجع

(١) "نيل الأوطار" للشوكاني: كتاب الجهاد والسير: باب الكف عن قصد النساء والصبيان والرهبان... ٣٣٢٤.قَالَ الْبَيْهَقِيّ: هذَا الحَدِيث مُنْقَطع وَضَعِيف، وَفِي رِوَايَة لَهُ من حَدِيث عَلّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ الْبَيْهَقِيّ: فِي إِسْنَاده إِرْسَال وَضعف. قَالَ: وَهُوَ بشواهده مَعَ مَا فِيهِ من الْإِرْسَال يقوى. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي. المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال.( ٨٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير: باب : فتح مكة، ٤٦٤٢: ٦٨٧/٣.

بالكفاف"[١].

وقد نهى النبي ﷺ عن قطع الطرق وتخريبها وتضييق المنازل، فعن معاذ بن انس رضي الله عنه أنه قال: "غزوت مع نبي الله ﷺ غزوة كذا وكذا فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق فبعث نبي الله ﷺ مناديا ينادي في الناس: أن من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له"[٢].

ففي هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ ينفي ثواب الجهاد لمن أفسد في الأرض وقام بأعمال تخريبية تؤذي غير المقاتلين، وكان هذا ضيع الكفار والمشركين مع المسلمين على مر عصور التاريخ ومثال ذلك ما فعله التتار ببغداد وأهلها فارتكبوا أبشع الجرائم الحربية، واعتمدوا سياسة الأرض المحروقة، فدمروا كل شيء وأتوا على الأخضر واليابس، حتى أنهم عبروا النهر على جسر شيدوه بكتب تراث المسلمين ومؤلفاتهم. كما كان من سنة الرسول ﷺ في الغزو: النهي عن قطع الأشجار أو إتلاف المغروسات لغير حاجة، وما ثبت في سيرته وعليه السلام أنه فعل ذلك إلا في غزوة بني النضير والسبب في ذلك هو أنه لما استقر في أذهان اليهود أن المسلمين لا يفسدون في الأرض، أراد هؤلاء أن يتحصنوا بحصونهم، ويرمون المسلمين من وراء الأشجار، فرخص عليه السلام في قطع هذه الأشجار وحرق النخيل[٣]. فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِين ﴾[الحشر: ٥]

كما كان النبي ﷺ ينهى عن قتل الحيوان أو عقر البهائم لغير حاجة أو مأكلة،

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب الجهاد: باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا، ٢٥١٥.إسناده صحيح، فقد صرح بقية بالتحديث عند أبي داود وأحمد وفي الرواية الثانية للنسائي. جامع الأصول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون (٥٧٦/٢).

(٢) – أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد: باب: ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته،: ٢٦٢٩.إسناده حسن.

(٣) – "السيرة النبوية" لابن هشام: ١١٣/٣.

فقد أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيشه المتوجه إلى فتح الشام بقوله: "... ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة..."[١].

**٥-الإحسان في القتل والنهي عن التمثيل والتحريق:**

كان النبي ﷺ يأمر صحابة بالإحسان في القتال، ومن صور هذا الإحسان الحربي ما يلي:

-اجتناب ضرب الوجه في القتال: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه"[٢]. وقد وردت العلة في هذا النهي وهي أن الله خلق الإنسان في أحسن صورة وركبه في أحسن تقويم، لذلك لا يجوز تشويه الخلقة ولو في القتال.

-النهي عن التمثيل بالقتلى: وذلك بقطع الأعضاء أو تشويهها كفقع العين وجدع الأذن والأنف، وقطع الأطراف وبقر البطون... فكل ذلك محرم في الإسلام وبالأعداء والتمثيل نوع من المبالغة في الانتقام من العدو، لذلك كان النبي ﷺ إذا أمر أميرا في بعث من البعوث أو سرية من السرايا يوصيه بمجموعة وصايا ومنها اجتناب التمثيل بالقتلى، فعن بريدة بن الحصب الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان إذا أرسل سرية أوصاها قائلا: "اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا..."[٣]. وروى الإمام البخاري أن النبي ﷺ: "نهى النبي ﷺ عن النهبى والمثلة"[٤].

-النهي عن الحرق بالنار: ومن أخلاق الحروب النبوية: عدم التحريق بالنار، وذلك حينما أرسل عليه السلام أحد البعوث وأشار عليهم بتحريق بعض الأشخاص إن وجدوهم، ولما حان وقت الخروج أتى النبي ﷺ صحابته فأخبرهم بأن التعذيب

(١) "تاريخ دمشق "لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ٧٥/٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: العتق: باب: إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه،: ٢٥٥٩: ٤٤٧/٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب: المغازي ، باب: وصية أمراء الجيش(١٣٩/٥)(٤٥٤٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: المظالم والغصب: باب :النهبي بغير إذن صاحبه رقم الحديث ٢٤٧٤: ٤٣١/٢ و٤٣٢.

بالنار هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى، لذلك لا يجوز لهم أن يحرقوا من ذكرهم آنفا، ولكن إن وجدوهما فعليهم بقتلهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: إن وجدتم فلانا وفلانا فحرقوهما بالنار ثم قال: حين أردنا الخروج، إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما"(١) .

-النهي عن القتل صبرا: فقد نهى النبي ﷺ في يوم الفتح عن القتل صبرا فقال: "لا يقتل قريشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة"(٢). والقتل صبرا: شد يدي الرجل ورجلاه ثم ضرب عنقه أو أن يربط الإنسان أو الحيوان، ثم يرمى بالنبل أو الرصاص.

**٦- عدم الإجهاز على الجرحى:**

كان رسول الله ﷺ ينهى عن الإجهاز على الجرحى أي: قتلهم والإتمام عليهم، لأن ذلك منافيا للرحمة، إذ أن الجريح مع ضعفه وعدم قدرته على القتال قد صار بمثابة الأعزل، وليس بمقاتل لذلك لا يجوز قتله أو الإجهاز عليه، فقد أرشد النبي ﷺ أصحابه في فتح مكة إلى هذا الخلق السمح قائلا: "ألا لا يجهزن على جريح، ولا يتبعن مدبر، ولا يقتلن أسير، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"(٣).

**٧-النهي عن قتل من أمنه المسلمون:**

كان من سنة الصحابة رضوان الله عليهم: حفظ عهد ولي أمرهم، وإخوانهم من المسلمين إدا أمنوا أحدا من المشركين، أو استجار بهم، فكان كل من يؤمنه الإمام أو أحد المسلمين، نافذ على جميع أفراد الأمة أجمعين، قال رسول الله ﷺ: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس

(١) – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير: باب لا يعذب بعذاب الله: ٣٠١٦: ٥٣٤/٢.
(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير/ باب: لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح: ٤٦٤٥: ٦٨٨/٣.
(٣) "الأموال" للقاسم بن سلام: كتاب: فتوح الأرضين صلحا... باب: فتح الأرض تؤخذ عنوة: ١٤٤.

أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل"[١].

وبناء على ذلك كان النبي ﷺ ينهى عن قتل من أمنه المسلمون، ومن أمثلة ذلك ما وقع في فتح مكة، حينما دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه، فر رجلان من المشركين واستجار بأم هانئ، وأراد علي بن أبي طالب أن يقتلهما، فذهبت إلى النبي ﷺ، فأخبرته خبر الرجلين، وخبر علي فقال عليه السلام: "قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما"[٢].

**٨-الوفاء بالعهد وعدم الغدر والخيانة:**

أكد النبي ﷺ على الوفاء بالعهود، ونهى عن الغدر والخيانة، امتثالا لأوامر الله سبحانه وتعالى في غير ما آية من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود﴾[المائدة: ١] وقوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾[الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنفضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا غن الله يعلم ما تفعلون﴾[النحل: ٩١] كما بين عليه السلام أن الله لا يحب الخائنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[النساء: ١٠٧].

وقد بين رسول الله ﷺ عاقبة الغدر والخيانة فقال: "لكل غادر لواء ينصب بغدرته"[٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل المدينة: باب: حرم المدينة: ١٨٧٠: ٣٢٥/١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: المغازي، باب: الصَّلاَةِ فِي الثَّوْبِ الوَاحِدِ مُلْتَحِفًا بِهِ(٨٠/١)(٣٥٧).وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب: الصلاة، باب: عدد ركعات الضحي(١٥٧/١)(١٦١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب :الجزية والموادعة ،باب: إثم الغادر للبر والفاجر: ٣١٨٨: ٥٦٧/٢.

**المطلب الثالث: أخلاق ما بعد الانتهاء من القتال والحرب.**

**أولا: حسن معاملة الأسرى والرقيق والسبي:**

أمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى والرقيق والسبي بعد أن تضع الحرب أوزارها، وقد أرشد الله عز وجل إلى الإحسان في معاملة الأسير: وهو المقاتل من الكفار يظفر به المسلمون حيا، قائلا: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا﴾[الإنسان: ٩/٨] وقال تعالى أيضا: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾[الأنفال: ٧٠].

ووقائع السيرة النبوية حافلة بحسن معاملة الأسرى، ومن ذلك ما يلي:

**١-الوصية بالأسرى خيرا:**

كان رسول الله ﷺ يوصي المجاهدين من المسلمين بالأسرى خيرا، حتى كان الصحابة يأكلون التمر ويقدمون لهم الخبز إيثارا لهم على أنفسهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[الإنسان: ٨]، أخرج ابن المنذر عن أبي جرير في قوله: [أسيرا] قال: "لم يكن النبي ﷺ يأسر أهل الإسلام ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم"(١).

فكان رسول الله ﷺ يوصي بالأسرى خيرا، فلم يأمر بتعذيبهم أو الإساءة إليهم أو تكميمهم أو توثيقهم بل أمر بحسن معاملتهم وكأنهم في ضيافة المسلمين وليسوا في أسر.

(١) "لباب النقول في أسباب النزول" لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: الاستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ص: ٢٩٣: سورة الإنسان: الآية: ٠٨.

**٢-قبول الفداء في الأسرى:**

فقد قبل رسول الله ﷺ الفداء في أسرى بدر، وكان ممن فادى نفسه العباس بن عبد المطلب كما في صحيح البخاري من حديث أنس(١).

**ثانيا: الحفاظ على أموال المسلمين والنهي عن الغلول**

كان الرسول عليه السلام يأمر صحابته بعد الجهاد بجمع الغنائم والأموال والحفاظ عليها، وينهى عن الغلول وهو: السرقة من الغنيمة قبل قسمتها ودون علم الإمام، وقد شدد الله تعالى في أمر الغلول فقال محذرا منه نبيه عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾[آل عمران: ١٦١].

وقد أكد النبي ﷺ هذا الخلق الكريم في سيرته من خلال عدة أساليب نذكر منها:

١-أمره عليه السلام الحفاظ على غنائم المسلمين والنهي عن إفسادها بسوء استخدمها: فقد قال رسول الله ﷺ في بيان الواجب على المجاهدين تجاه غنائم المسلمين: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلفه رده فيه"(٢).

٢-النهي عن الغلول والنهبة من أعظم وصايا الرسول ﷺ عند خروج المسلمين للغزو:

فقد كان النبي ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا ثم يقول: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا" وعن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: "نهلا عن النهبة [الأخذ من الأموال قبل

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة: باب القسمة وتعليق القنو في المسجد،: ٤٢١: ٨٦/١.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب: الجهاد: باب: في الرجل ينتفع من الغنيمة بشيء: رقمه ٢٧٠٨.قال ابن الأثير: وإسناده صحيح لولا عنعنة ابن إسحاق.جامع الأصول لابن الأثير(٤٨٨/١)(٣١٧).

قسمتها] والمثلة"[١].

٣-ترتيب النبي ﷺ العقوبة على الغلول: رتب النبي ﷺ على الغلول والسرقة من المغانم عقوبة شديدة وهي استحقاق النار يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبا ولا فضة، إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له: رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاما يقال له: مدعم، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كانوا بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة فقال رسول الله ﷺ: "كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا"[٢] فلما سمع الناس بذلك جاء رجل بشراك او شراكين إلى النبي فقال: "شراك من نار أو شراكان من نار".

٤-المن على الأسرى: فبعد أن انتصر رسول الله ﷺ في غزوة بدر وأسر المسلمون المشركين، قال ﷺ: "لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له "[٣].

٥-إطعام الأسرى وسقيهم وكسوتهم: كان رسول الله ﷺ حريصا على تلبية حاجيات الأسرى من مطعم ومشرب وملبس، فكان عليه السلام يتفقد الأسرى بنفسه، ويترفق بهم، ويتواضع معهم في الحديث، بل ويطعمهم ويسقيهم متى أرادوا ذلك، كما فعل ﷺ مع رجل من بني عقيل، حينما ناداه فقال: يا محمد يا محمد فأتاه رسول الله ﷺ فقال: ما شأنك؟ قال: "إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني، قال عليه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب : المظالم والغصب: باب : النهبي بغير إذن صاحبه: ٢٤٧٤: ٤٣١/٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الإيمان والنذور: باب: هل يدخل في الإيمان والنذور الأرض والمغنم والزروع والأمتعة: ٦٧٠٧: ١١٨٥/٤، وذكر تحت رقم: ٤٢٣٤.

(٣) – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب : المغازي: باب : بيان ذكر من شهد بدرا،: ٤٠٢٤: ٧٠٧/٣.

السلام: "هذه حاجتك"[١].

ومن اهتمام رسول الله ﷺ بالأسرى كذلك كسوتهم إن كانوا في حاجة إلى ذلك، فعن جابر رضي الله عنه أنه قال: "لما كان يوم بدر أتي بأناس وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصا، فوجد قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه" قال ابن عينية: كانت له عند النبي ﷺ يد، فأحب أن يكافئه[٢].

٦-إباحة الزواج من الأسيرات: فقد تزوج النبي ﷺ من الأسرى السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها بعد غزوة بني المصطلق، وتزوج من السيدة: صفية بنت حيي بن اخطب رضي الله عنها بعد فتح خيبر، وفي هذا أعظم تكريما في معاملة الأسرى والإحسان إليهم.

كما كان النبي ﷺ بحسن معاملة السبي والرقيق، فكان عليه السلام يمنع التفريق في السبي بين الوالدة وولدها ويقول: "من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة"[٣] "فكان يؤتي بالسبي فيعطي أهل البيت جميعا كراهية أن يفرق بينهم"[٤].

**ثالثا: مواراة جيف قتلى الأعداء**

والمقصود بذلك دفن جثث الأعداء التي خلفتها المعركة على أرضها، وهذا من كمال الرحمة بهم والإحسان إليهم رغم أنهم كانوا من المحاربين لدين الله ودعوة رسوله ﷺ، فكما كان النبي عليه السلام حريصا على هدايتهم ورحيما بهم في حياتهم،

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب ٢٦: النذر: باب: لا وفاء لنذر في معصية الله... ٤٢٦١: ٣/٦٢١.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: الجهاد والسير: باب ١٤٢: الكسوة للأسارى: ٣٠٠٨: ٢/٥٣٣.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: كتاب السير: باب: في كراهية التعريف بين السبي: رقمه ١٥٦٦. قَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن غَرِيب. وَقَالَ الْحَاكِم: هَذَا حَدِيث صَحِيح عَلَى شَرط مُسلم. قلت: وَفِي إِسْنَاده حيّ بن عبد الله الْمعَافِرِي وَلم يخرج لَهُ مُسلم، وَقَالَ البُخَارِيّ: فِيهِ نظر. وَقَالَ أَحْمد: أَحَادِيثه مَنَاكِير، نعم قَالَ ابْن معِين: لَيْسَ بِهِ بَأْس. وَقَالَ ابْن عدي: لَا بَأْس بِهِ إِذا رَوَى عَنهُ ثِقَة قال ابن الملقن: قد رَوَى هَذَا الحَدِيث عَنهُ عبد الله بن وهب، قَالَ ابْن الْقطَّان: ولهذه العلّة لم يُصَحِّحهُ التِّرْمِذِيّ. البدر المنير(٦/٥١٩).

(٤) "زاد المعاد" لابن القيم: ٢/١٤١.

كان أيضا رحيما بهم بعد موتهم.

ومن نماذج ذلك في السيرة النبوية: ما فعله ﷺ بعد غزوة بدر، حيث أكرم الله عز وجل المسلمين بالنصر على أعدائهم، "فقد أمر عليه السلام بإلقاء جثث الأخباث في ركي من قلب بدر ثم وقف عليها قائلا: "بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس"[١] .

**رابعا: عدم إكراه المغلوبين على اقتناع الدين بالقوة أو الإكراه:**

كان النبي ﷺ يكفل حرية العقيدة لمن انتصر عليهم في الحروب والغزوات ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وإنما تجلت مهمته عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فذكر إِنَّمَا أَنْتَ مذكر لست عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١].

وإذا تصفحنا وقائع سيرته ﷺ لم نجد أنه أجبر أحد على اعتناق الإسلام بالقوة أو الإكراه، فقد دخل عليه السلام المدينة وأسس على أرضها دولة الإسلام وأرسى فيها قواعد السلام مع اليهود والمشركين الذين لم يسلموا، فلم يتعرض لهم بسوء، ولم يضطهدهم لعدم اعتناقهم الإسلام، بل وادعهم وكتب بينه وبينهم صحيفة، يتبين حقوقهم وواجباتهم.

كما لم نجد في سيرته خبرا عن إكراه الأسرى وأهل البلاد المفتوحة، على الدخول في الإسلام قسرا، بل كانوا يعتنقون الإسلام من تلقاء أنفسهم، ومن رضي منهم البقاء على دينه، ألزمه الرسول ﷺ بدفع الجزية والبقاء على دينه.

(١) "زاد المعاد" لابن القيم: ١٧٣/٣.

## الخاتمة

إن السيرة النبوية المباركة وما حملَت من مواقفَ وأحداث تعدُّ نبراسًا وضياءً للباحثين عن أي بُغية ومقصَد، وفيها العلاج لأيّ مشكلة حياتيَّة؛ لأنَّ صاحبها هو الأسوة والقدوة، وهو الهادي إلى صراط الله المستقيم، وحين اخترتُ البجث في "البعد الإنساني في السيرة النبوية سلما وحربا"؛ فتَّشتُ عن بُغيتي ومَقصَدي، فوجدتُ آثارًا نافعة وثمارًا يانعة، تحمل في طِيَّاتها العلاج النافع للأمة حيث كان صلي الله عليه وسلم خير مربي وقائد وخير زوج.

**وفي نهاية هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:**

١- إن المقصود بالبعد الإنساني في شخصية الرسول ﷺ توضيح ما جبل عليه رسول الله ﷺ القدوة والنموذج من خلق عظيم في معاملة الناس جميعا بالرحمة والتسامح والعفو.

٢- السلم هو أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم، لأن الإسلام يسعى إلى احترام الإنسان، وتكريمه وتحقيق السعادة له، فهو دين عالمي للمسلمين وغيرهم، وفيه من القوانين والتشريعات ما يراعي الجوانب الإنسانية لكل البشر.

٣- لا يجيز الإسلام قتال المحاربين إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام، وتعريفهم به وإقامة الحجة عليهم، لأن الهدف إخراج الناس من الكفر إلى الإيمان.

٤- يسمح الإسلام للمسلمين بالتعايش مع غير المسلمين في ضوء أخلاقه العظيمة.

٥- يحرم الإسلام تحريما قاطعا قتل الأعداء صبرا ، ويشدد في الإحسان إلى غير المسلمين في القتل وغيره، احتراما للكرامة الإنسانية.

٦- يسعى الإسلام للحفاظ على البيئة ، أرضا وجمادا وحيوانا وماء، بما يكفل الحياة الكريمة لكل من عليها.

**أهم التوصيات:**

من أجل تحقيق المنفعة للناس كافة، ينبغي تكثيف إقامة الندوات والمؤتمرات التي توضح للناس ما يتميز به هذا الدين من الرحمة والعدل والتسامح وإكرام الإنسان حيا وميتا، إذ يجهل الكثير من الناس هذه المعاني، ويعتقدون من خلال النظر في أفعال بعض المسلمين المعاصرين أن الدين يخلو من الإنسانية مع أنه الدين الذي له فضل السبق على كل التشريعات الدنيوية في إعلاء شأن الإنسان ومكانته ومنزلته والحفاظ عليه من خلال التشريعات الشاملة في كل نواحي الحياة.

## المصادر والمراجع


- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي الناشر: دار الحديث – القاهرة.
- أخلاق الحروب في السنة النبوية.
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر.
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ،المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- الجامع الكبير – سنن الترمذي ،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ،المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.
- حضارة العرب.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي،الناشر: دار الرسالة العالمية.
- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، المؤلف : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق : مكتب تحقيق التراث، الناشر : دار المعرفة ببيرو.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد.
- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي.
- شرح السير الكبير، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ،الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

- كتاب الأموال، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي المحقق: خليل محمد هراس. الناشر: دار الفكر. – بيروت
- لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ،ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الجيل – بيروت.
- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.